العربية والرؤية الصهيونية لتاريخ فلسطين بأهمية استثنائية. فهو الخلفية الموجهة والمعبئة للخط السياسي والممارسات السياسية، إلى درجة دفعت الدكتور فيصل دراج للقول «دون نظرية للتاريخ ليس ثمة نظرية للسياسة» بما استدعى إلقاء نظرة مختزلة، ولكن مثابرة، على السياق التاريخي لفلسطين. فأول ما يصطدم به النضال الفلسطيني الزعم بأن هذه الأرض توراتيا لليهود، بناء على وعد سماوي (أعطيك ونسلك هذه الأرض من الفرات إلى البحر)، وهي لليهود تاريخيا (مملكة سليمان) (وأرض الميعاد) التي عاد لها اليهود بعد شتات، وإنهم عانوا الأمرّين بعد خروجهم من مصر مؤيدين بإرادة السماء، كما تتحدث أسفار الملوك في التوراة بما لا يعوزها التفاصيل، لإرساء مملكتهم المقدسة التي هدمها الأشوريون ثم الرومان ولكن ليؤسسوا ثانية بوابة الأمل (بيتح تكفا) ١٨٨١ وإسرائيل ١٩٤٨، هذه الرواية يتعبأ بها كل جندي وضابط مخابرات ومواطن إسرائيلي عموماً، إلى درجة أن يتحمس المؤرخ اللاهوتي مالينوفسكي لكتابة ٥٠ مؤلفاً عن «الخروج من مصر»، علما أن هذا السيناريو هو أقرب إلى الأسطورة منه إلى رواية التاريخ كما توصل إليه علماء الآثار الأجانب قبل العرب فـ «الأبحاث والتقنيات الأثرية الحديثة تقوض يوما بعد يوم «الرواية الشعبية» عن استعباد الإسرائيليين في مصر وخروجهم من سيناء وغزو فلسطين من الشرق وتحطيم أسوار أريحا وإنشاء مملكة مزدهرة واضمحلالها» وهذا يصل إليه الباحثان البريطانيان ن. روبرت ول. تشابمان في مؤلفهما (الآثار والتوراة) بالقول (ليس ثمة اثبات على دخول الآباء الأوائل إلى فلسطين ولا الخروج من مصر ولا غزو فلسطين من قبل الإسرائيليين ولا قيام مملكة إسرائيلية)، وكذا عالمة الآثار كاثلين كينون في (التوراة والمكتشفات الأثرية الحديثة) بأن الادعاء المبني على اكتشاف اسوار أريحا في فترة يشوع ثبت بطلانه تماما... وأن لا دليل على الدخول الإسرائيلي لفلسطين، ولا اثر لأي نوع من الثقافة الإسرائيلية أو اصطبلات سليمان في مجيدو، فهي لا تعدو كونها أخباراً مختلقة)، وما قاله الباحث من جامعة كوبنهاجن نيلز ليمش في تقريره (القدس ومملكة سليمان) في ندوة روما ٢٠٠٣ (إن المعطيات الأثرية أثبتت الآن نهائيا أن مملكتي داوود وسليمان لم توجدا أبداً)[٢٠]. وهذا ما يذهب إليه الدكتور سيد القمني بالقول إن (أهم مكونات التوراة مجرد مبالغات مغرقة في الأسطورة... وليس ثمة دليل مباشر على تلكم الأحداث في الآثار المصرية أو مدونات البردى أو وثائق بلاد النهرين أو فلسطين)[٢١].

ماذا تقول الرواية الأخرى، رواية التاريخ، وهل تتناقض مع الأسطورة ورواية الأسطورة؟ وإلى

---

٢٠) الأسعد، محمد بحث المشكلة التوراتية. مجلة كنعان العدد ١٣٦. ٢٠٠٩. ص١٥٢،٣٧

٢١) د. القمني، سيد. إسرائيل. التوراة التاريخ ١٩٩٨. ص ١٦٥،١٦٦